رُكّابٌ وكُتب

نصوص فَنيّة من القدس

تحرير: حسام غوشة

رُكّاب وكُتب

نصوص فَتيّة من القدس

تحرير: حسام غوشة

تصميم: محمود أبو شمسية

صورة الغلاف: كاتيا فلكوننت

حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة الرؤيا الشبابية

الرؤيا الشبابية
YOUTH VISION

الاتحاد الاوروبي

تقدم هذه الكراسات (ركّاب وكتب، بين أكمام الناس، قناديل أخرى على السور، لا مكان للسقوط) مختارات من نصوص كتبها طلاب القدس ضمن تدريب الكتابة الإبداعية خلال النصف الأول من عام ٢٠١٥. في هذه الكراسات نسمع صوت فتية وفتيات من القدس، يفتحون دفاترهم ونوافذهم المشرقة يقصون علينا حكاياهم، فنصحبهم في يومياتهم ومشاهداتهم، كاشفين تساؤلات وتأمّلات تضج بالكثير من السخرية والعفويّة، علها تجد من يسمعها وسط الجلبة التي لا تبارح المدينة رغم سكونها.

حسام غوشة

فهرس

٦ **فهد المشني**
رُكّاب وكُتب
قطرات شبكة المعلومات

١١ **يمنى دويك**
قلوبنا البسيطة
مفتاح جدتي
أَخي
بلا نهاية

١٧ **ضحى سعادة**
كهف حارتنا
الكلب

٢١ **ميس أبو طير**
بيت وبيانو في بغداد
على باب رمضان

٢٥ **سارة رويدي**
جواريرُ المطبخ
حلم

٢٩ **نادية الرشق**
اعتراض
موعد
رحلة ناتيجدا

٤٣ **أمير جابر**
طريق البحث
في بريد القدس

فهد المشني

العمر: ١٦ عاماً

(شعفاط - القدس)

رُكّاب وكُتب

قطرات شبكة المعلومات

رُكّاب وكُتب

أَخرجُ من بيتي كلَّ يومٍ من حضارةٍ إلى حضارة، من خرابةٍ إلى قصر، تكون الساعة ٧:٣٠ صباحاً، لا أَرى إلا ركاباً، لا أَرى إلا كتباً؛ أَسير قليلاً وأنا أُفكِّرُ في حاضري ومُستقبلي وماضيّ، أُفكّر في حضارتنا، في بلادنا، أعيشُ في الغربة، غريباً عن الأَهلِ والأَحباب، أَعيشُ بينَ الجدران أَتذكَّرُ ماضيّ فأضحكُ مرةً وأَبكي مرة. أَستمتع بالذكرى، أَحزنُ بالفطرة، أَبكي على أمجادٍ دمرها التاريخ، أُسوداً تحملُ الحجر والقنابلَ دونَ أَن تستريح، أَعيش بين الماضي والمستقبل أَرثي هذا وأمدحُ ذاك، أمدح أو أهجو ذاك؛ أسيرُ فأفكِّر بالعلم، لا شيءَ إلّا العلم.

فهد المشني

قطراتُ شبكةِ المعلومات

اشتريتُ هاتفي قَبلَ ثلاثةِ أعوامٍ، من عرقِ جبيني، من جلدِ راحتي، من احتراقِ بشرتي ومن نزفِ دمي؛ كُلّ هذه المشاق عانيتها بل وأَكثر، وأَنا أَعمل بين قِطع القرميد الجديدة والقديمة، مكسرة إلى إربٍ أو قطعةً واحدة، حادّةً تُمزق جلدَ بدني، وتنغَرسُ القِطع الصغيرةُ فيه لتَتَسببُ بنزيفٍ خفيفٍ وألمٍ شديد. كانت الأمطارُ الغزيرةُ تتساقطُ من جسدي الذي أُصيبَ بالسُمرة من لهيب الشمس، هكذا جمَّعتُ ثمنه، وبسبب المشاق التي عانيتها في سبيل ذلك، أَخافُ عليه كأنَّه قطعةٌ من جسدي بل وأَكثر، وتصل درجة خوفي عليه كخوف الأَب على ابنه، وعندما يكون بحوزتي أنتقل بهِ من عالمنا، عالم الحقيقة، إلى عالمه الممزوج بقطراتٍ من شبكةِ المعلومات؛ أَدخل منه إلى عالمٍ بل إلى عوالم شبكة المعلومات، عند دخولي وانتقالي تختلف شخصيتي بالكامل، ففي لحظة أُقبِّل التراب بشفتي، وأَركض وأَسير على قدميّ بكلِّ ثقة، وفي لحظات أُخرى أقف فوقَ الغيوم المُبحرة في السماء، وبعدها أقفزُ لأَبسط جناحيَّ وأَطير كالشاهين شامخَ الرأسِ، كُلّ هذا وهاتفي متصلٌ بشبكة المعلومات بل وأَكثر، ففي تلك اللحظة أمتلك كل أَبواب الدنيا، عليّ فقط أَن أَختار إياها أعبر، وكُلّ ما قلته لم يجسد شيئاً مما يحدث، كأَنني جسدتُ قطرةَ ماءٍ من محيطٍ ضخم.

فهد المشني

يمنى دويك

العمر: ١٥ عاماً

(كُفر عَقب- القدس)

قلوبنا البسيطة

مفتاح جدتي

أَخي

بلا نهاية

قلوبنا البسيطة

انتظرتك كثيراً وبكيت كثيراً، إنني أشتاقُ إليك.
فقدتُكَ يوماً، وابتعدتَ عني، ذهبتَ إلى عالمٍ آخر، إلى زنزانة الاحتلال.
لا أَعرف إِن كُنتَ مرتاحاً أَو ربما تنام وأنت جائع، ذهبتَ، نعم وتركت خلفك الذكريات، كتبت لك الكثير لأعبِّر عن اشتياقي لك وما كان يكفيني شيء؛ كان أَجمل يوم في حياتي كُلّها، يوم رجعت أَنت، يوم رجعت معك الضحكة لأُمي ولكل العائلة، حتى أَنا صرت أَرى ضحكتك، مُزاحك، عصبيتك، كلّ شيء رجع معك، بعدما فقدتك سنةً كاملة.
قلوبنا بسيطة جداً، نعم بسيطة، بدليل أَنّها تنسى في وقت الفرحة كُلّ لحظةٍ ذاقت فيها الحزن.

يمنى دويك

مفتاح جدتي

لم تعد جدتي تخاف على مفتاحها. عندما عدت من المدرسة قالوا لي: رحلت جدتك وتركت مفتاحها. لم أُصدِّق في ذلك الوقت، سرتُ إلى غُرفتها فوجدتها مستلقيةً على فراشها، حاولت أَن أَجعلها تستيقظ لكن دون جدوى. جلستُ على الكرسي، وأَنا أُردد: ماتت جدتي، ماتت جدتي...
شعرتُ أَنَّ عقلي، لم يستوعب هذا الخبر بعد، تعمّقتُ في الكلمة، كانت تعني أَنه لم يعد لجدتي وجود في عالمي، لن أراها مرة أُخرى؛ تفهمتُ ذلك فوقفت واسترجعت قواي، لكن سرعان ما بكيت بشدة، ذهبت لأودّعها في هذه اللحظة، تذكرتُ لحظاتنا معاً؛ أيامي وكل شيء، كُنا نجلس في هذا المكان، وهناك كُنا نأَكل، والكثير من اللحظات التي تحطمت عندما سمعت الخبر.
لكنني عاهدتُ نفسي أَنني سأقرأ لها الفاتحة كلّ صباح وأدعوا لها، مع أَني لا زلت أَسمع همس صوتها، وأَذكر ملامحها، وأَذكر ابتسامتها الحنونة، ولمساتها لخصلات شعري. كم أفتقدها... رحمك الله يا جدتي.

يمنى دويك

أخي

كُلّما كُنتَ تطيح بي أَرضاً جرّاء منافسةٍ قوية بيننا، كُنتُ وكعادتي أَعترض على فوزك.
تدَّعي خسارتك في المرّات المُقبلة حتى لا تُشعرني بالعجزِ والضعفِ أَمام أَيٍّ كان.
عندما كنت توقظني في منتصف الليل ساكباً على وجهي الماء حتى أُحضِّر لكَ الشاي، يكون انتقامي شديداً بإضافة الملح وطلب النجدة من والدي لحظة اكتشافك لذلك.
لا أَنسى غيرتك الشديدة من أي عين تنظر إليّ، تتبع خطواتي، كأنَّك ترغب في حجب جميع العيون عني، غيرتك الشديدة تلك كانت تصيبني بالضجر حقاً، حتى سرقاتك المستمرة لأَغراضي وحَلواي.
أما سارعت في عودتك حتى نتشاجر على مفتاح السيارة؟
لسماع صوت سيارتك وهي تُعطي إشارات وصولك؟
أينك؟
أشتاق إليك...

يمنى دويك

بلا نهاية

في الساعة السادسة من صباحِ كُلّ يوم، وبعد صراعٍ طويلٍ ومريرٍ مع الجاذبية الأَرضية التي تكون أَكثر تأثيراً كُلّما كانَ الوقتُ مُبكِّراً ودرجة حرارة الغرفة أقلّ، استيقظت على صوت المنبه اللعين الذي اشتريته من إحدى البسطات لأنَّ منبه هاتفي لا يفي بالغرض.

أَمدُ يدي لأكبس الزرّ الذي يُسكِت المُنبه، فينتهي به المطاف على أرضية الغرفة.

أُحاول النهوض لكن جسدي الهزيل لا يملك من الطاقة ما يكفي للقيام بذلك، عندها أُدرك أَنني سأضطر للاستغناء عن وجبة الإفطار التي أصبحت جزءًا منسيًا من حياتي منذ عدّة أشهر.

أَزحف إلى الحمام وأَنا مُغمضة العينين، أَصل فآخذ حماماً سريعاً وأَلبس ملابسي بوقتٍ قياسي لا يزيد عن عشرة دقائق. أُغادر منزلي مسرعةً خشية التأخُّر عن اختبار الرياضيات تاركةً ورائي فوضى عارمة في الغرفة تستمرُ حتى يوم الأحد.

يمنى دويك

ضحى سعادة

العمر: ١٣عاماً

(الثوري - القدس)

كهف حارتنا

الكلب

كهف حارتنا

وجهٌ أبيض، عينان زرقاوان يكادُ لونهما يختفي، ورأسٌ خالٍ من الشعر، نظرةً واسعةً من ذلك الشخص تكفي لرعب يدوم طوال الحياة؛ استجمعتُ قواي واتجهتُ نحو فضولي الذي يكاد يقتلني بسؤاله: "لماذا هذا الرجل يأتي كُلَّ يومٍ إلى حارتنا مع العلم أَنَّه لا يقطن هنا؟" جمَّعت كُلّ ما أملك من قوة وشجاعة وجرأة، وعند حلول الليل ذهبت خفية خلفه مرتجفةً، فأنا الآن أَدخلُ مساراتٍ سوداء ملأتها الحجارة وسائلً أسود لا أَدري ما هو، طاوعت فضولي فبقيت متسمرةً فإذا هو ذلك الرجل المخيف يدخل مغارةً كبيرةً جداً، توقفتُ، فكرت وحاولت التراجع، لكن ما من حيلة بيدي فأنا الآن بعيدة عن البيت كثيراً، لذا قررت الدخول وجسمي جميعه يرتعش؛ أَنا حقاً لا أُصدِّق ما أراه، أنا مذهولة حقاً، هل يُعقل أن يكون خلفَ ذلكَ الوجه المخيف أَولاد في غاية اللطافة؟ نعم، كان يأتي لحارتنا من أجل تأمين لقمة العيش لأولاده.

ضحى سعادة

الكلب

منهكة، متعبة والعرق يُبلل شعري، صعدت الدرج المحاط بالحجارة المفتتة، وفي آخر طريقي إلى البيت رأيتُ كلباً بغاية الجمال له عينان زرقاوان، وشعراً أبيضاً تزينه الخطوط البنية؛ كان ينبح كأنَّه يريد اللعب، سرحتُ قليلاً ثم ذهبتُ وإذا بالكلبِ يلاحقني، حينها شعرتُ بجسمي كله يرتعش من الخوف، ثم ركضت بأقصى سرعة...

أركضُ والكلب يلاحقني، الناس تنظر إليَّ وتقول: لقد جُنَّت فلا يُصدر أحداً الصوت الذي أصدرته إلّا المجانين، التوت قدمي وسقطت على التراب؛ استسلمت وجلست ساندةً ظهري على ذلك السور الرمادي منفجرة بالبكاء، وبعد فترة وجيزة كدتُ أَموتُ من الضَحك! كم أنا حمقاء، فالكلب كان يحمل في فمه العصا التي رميتها له أول ما رأيته، جلست ألعب مع الكلب وإذ بيدين مجعدتين تملؤهما البقع البنية وصوت خشن يقول: هيا يا (بوبي) سنعود للمنزل رفعت عيناي، كان رجلاً يبدو عليه الفقر، لقد كان صاحب الكلب ذي المغامرة الطويلة.

ضحى سعادة

ميس أبو طير

العمر: ١٦ عاماً

(صور باهر- القدس)

بيت وبيانو في بغداد
على باب رمضان

بيت وبيانو في بغداد

ذهبتُ لأُكمل دراستي في بغداد، لأَول مرة أَذهب لهذه المدينة، مُتأكدةً أَنها جميلة وستكون غريبة أَيضا مثل اسمها. أَخيراً وصلت لبيتي الذي سأسكن به. إنه صغير، لكنَّه جيد؛ سأتعرَّف جيداً على هذه المنطقة وستكون مثل منطقتي أو أَعزّ. في كلّ صباح أَرى أَطفالاً كالعصافير المتطايرة يرقصون ويمرحون، يعشقون الحياة ويعيشونها كما يريدون بقلبٍ طيب، لا يؤذون أحداً، أَراهم يخرجون من جانب بيتي فهناك مؤسسة لتعليم الطلاب، كبيرة كالمستشفى، استمتع بمنظر الأَطفال وأَرى في كلّ صباح أَيضاً امرأة عجوز بدينة كجارتنا، تسقي الزهور، شعرها ناعم وطويل كذنبِ الفرس، تعيشُ في بيتٍ قديمٍ كالقصر لوحدها بجانب بيتي، هذا البيت يخيفني، كما تخيفني هذه المرأة؛ لكنَّ فضولي دفعني فذهبت إلى هذا البيت، وجدته فارغاً فيه شُبّاك طويل من الحديد وكأنه سجن، وبيانو كبير يملأُ البيت بصوته، كالصوت الذي أسمعه في كل ليلة، كأنّها تملأ غضبها في هذا البيانو، شعرتُ كأنني أَسير بخطواتي على هذا البيانو؛ صعدتُ إلى الطابق العلوي فكان هنالك تلفاز كبير، كأنَّه شاشة سينما، وفوق التلفاز صورة فنية مليئة بالحلوى؛ لم أُحبّ هذه الصورة بل أحببت الحلوى الموجودة في هذه الصورة. بالجانب الآخر مجموعة كُتب مصففة مليئة بالغُبار. أضواء بيتها غريبة، شكلها كالفوانيس، وشبّاك كبير وعريض يذكّرني بشباك بائع المدرسة، أَحسست بأنني ضعتُ في هذا البيت فخرجت فوراً؛ كانَ على الأرض سجادة حمراء أَظن أَن أَصلها من الصحراء، مقاعدٌ ضخمة وجرّة كبيرة كخزان الماء مزروع بداخلها ورود من كل الألوان، إنّه بيت غريب وجميل.

تخرجت وعدت إلى بلدي متعلمة، غير أنني لم أعلم قصة هذا البيت.

ميس أبو طير

على باب رمضان

رهام : حرام إحنا على باب رمضان، قصدي رمضان على الباب.

رزان: خلّي يفتحلك، آها طَ افتحيلو، مخليته عَ الباب.

تسنيم: تفتح شو؟

رزان: حدا يفتح الباب، يا جماعة الباب.

تسنيم : آه الباب.

رزان: الباب.

ميس: ولكو عيب مخلينو عَ الباب، افتحتو الباب؟ حرام افتحولوا الباب، اتحركن، افتحن الباب

رهام : حالف ما يدخل غير الصبح.

رزان : الله يهدو الباب.

نيلي : آمين (ضحك) خلص هيني أَنا بفتحله الباب.

رهام : لا خَلص خَليْكي، هيني أَنا بَفتحوا.

ميس : لا خَلَص خَليه عَ الباب.

نيلي : ينعَل أَبوه من باب، بدي أَكسره.

رزان : لا إله إلّا الله.

ميس : والله ما بدخل، إلّا ليضَل عَ الباب.

رهام : تحلفيش داخل يعني داخل.

تسنيم : يفضح سرّه، مال أُمّه الباب.

رزان : حسبي الله.

ميس : طيب خلص جد محداش يفتح الباب، خلّيه واقف...

(عندما حان وقت آذان الفجر)

ميس: رهام خلص افتحيلوا الباب وكل عام وانتم بخير.

ميس ابو طير

سارة رويدي
العمر:١٤ عاماً
(الثوري- القدس)

جواريرُ المطبخ
حلم

جوارير المطبخ

إنها أَول مرّةً أَرى فيها هذا المنظر، تُرى ما الذي حصل؟ الجوارير فارغة، بحثتُ في جميع الجوارير، فتحتها كُلّها، بحثتُ بدقة لكن لا جدوى، لا شيءَ في الجوارير، استغربتُ بشدة وأَخذني استغرابي إلى مكانٍ بعيد في خيالي.

رأيتُ سارقاً أسود اللباس مغطى الوجه، بطيء الحركة يمشي بحذرٍ نحوَ المطبخ، يفتح الخزائن لكن لم يعجبه شيء، بدأ يفتح الجوارير ويعبئ كيسه الكبير بأدوات المطبخ. لا، لا يمكن أَن يكون هكذا فقد أَغلقنا الأَبواب قبلَ النوم، أَخي الصغير دخل في غفلةٍ مِنا إلى المطبخ وفتح الجوارير، كالأفعى الملتفة يلم أغراض الجوارير بحذر ويضعها في حقيبته الصغيرة، ويهرب بها بعيداً كالنمر الذي يركض وراءَ العربة. أيعقل هذا؟ لا أَظن، أَخي يبان لا يبدو عليه القلق، ماذا حصل؟ ما الذي أَفرغ الجوارير؟ يا إلهي رأسي كدوامةٍ، كعجلة اللعب في الملاهي؛ أيُعقل أَن تكون أُمي أَفرغتها لسبب معين؟ حسنا، الآن عجزتُ عن التذكّر سأذهب للسؤال عن السبب.

اتجهت نحو أُمي لتبرر شكوكي نحوها. وقفت أَمامها بتردد: أُمي من الذي أَفرغَ الجوارير؟

تعجبت أُمي: "ماذا تقولين؟" أيُعقل هذا؟ لقد كانت هناك منذ قليل". ذهبت أَنا وأُمي بسرعة إلى المطبخ، وما أَن دخلنا إلى المطبخ، انطفأت فجأة الأضواء بسرعة، شيء غريب يلمع وصوت غريب يدق، صوت ضرب الحديد. تظهر علامات الأضواء فجأة، جميع المعالق وأغراض الجوارير تنزل بسرعةٍ كالمطرِ المُنهمر، أَدوات المطبخ تملأُ الأرضية، لونها كلون الدّم النقي، كأن أحداً حاولَ أَن يقتل شخصاً بهذه الأَدوات؛ ذُهلنا من شدّة المنظر، حاولنا لململة الأَغراض لكنَّها لم تنخلع عن الأرض كأنّه يوجد مغناطيس في السماء وفي الأرض لم ترد أدوات المطبخ فراقه؛ سحبنا بأقصى قوةٍ لدينا لكن لا جدوى. الآن واقفين، أنا وأُمي بذهولٍ عجيب لم ندرِ ماذا نفعل ونحنُ ننتظر نهاية حكاية الملاعق.

سارة رويدي

حُلم

هذا الحلم يراودني بكثرة
يرافقني، إلى عدّة أماكن،
في ليلة مظلمة كثيرة الأحداث،
كانت الساعة تقارب الثانية عشرة منتصف الليل
أَنهيت عملي وذهبت لمحطة القطار المُعتمة
كانت المحطة شبه فارغة لا يوجد بها أحد،
دخلت إليها ومَشيت
حتى ذهلتُ بالمنظرِ العجيب
الذي لم أرَ مثله أبداً
طفل صغير لم ينهي السنة الأُولى من عمره
معلقاً بسكة حديدية محكم العقدة
فمه مغلق بقطعة من القماش
هزيل، لا يستطيع فعل شيء
وقفت مذهولةً لعدّة دقائق لم أَستطع تحريكه،
كأَنَّ أَطرافي شُلَّت عن الحركة،
أَسرعت لانقاذه لكن لم أستطع،
جاءَ القطار بسرعة لم أَكن أَعلم أَنه سيأتي،
يالغبائي كنت على وشك انقاذه لو أَنني أسرعتُ قليلاً،
ماذا سأفعل؟ اتصلتُ بالشرطة،
أَتت الشرطة وبدأت تحقق بالقضية...

سارة رويدي

نادية الرشق

العمر: ١٧ عاماً

(صور باهر - القدس)

اعتراض

موعد

رحلة ناتيجدا

اعتراض

ضحكٌ، وسرور، أمي توضب الملابس وهي جالسة على أحد كراسي الشاطئ، أبي... أين أبي؟ أنا لا أراه، لعله ذهب ليتفحص المكان؛ أخي وأختي يلعبان مع بعضهما البعض على الرمال. أنظر الى البحر من بعيد، هادئً وجميل، اقتربت أكثر، هناك فقاقيع، ترى ما سببها؟ أقترب أكثر، إنها أختي الصغيرة، إنها أختي، تحت الماء، أنادي أمي في عقلي، ومن خوفي لم أستطع أن أنطق، خفت جداً، أشير الى أمي، جاءت إلي ببطئ تقول: ماذا هناك؟ نظرت إلى الماء، صرخت: ماذا تنتظرين اذهبي وأحضريها!

أختي تحاول النهوض لكن أطرافها الصغيرة تغوص في الرمال، هي بالكاد تمشي على أرض مستوية، تعلمت المشي منذ أسبوعين أو ثلاثة لا غير؛ ذهبت أمي مسرعة نحوها، ظهرت فجأة، حملها أبي وبدأ ينظر إليها، بكت، ثم صرخ علي: ألا تعرفين الاعتناء بأختك الصغيرة! وكأني أنا المسؤولة، ألا يحق لي أن أرى نفسي أنا أيضا في هذه الرحلة؟ وضع هو وأمي اللوم كله علي... أنا أعترض.

نادية الرشق

موعد

في كل يوم سبت أُكمل طريقي من المدرسة إلى عيادة طبيب تقويم الأسنان، قبل أن أصعد إلى الطابق الثاني، علي أخذ رقم تذكرة مثل بقية الناس، في أول اللقاءات حصلت على رقم ٢٠، وقبل فترة وجدت هذا الرقم معي فتركتها في جيبي، كل يوم سبت عليّ الركض إلى تلك العيادة والرجوع إلى مدرستي بعد الانتهاء، لأركب في حافلة المدرسة وأتمكن من العودة إلى البيت. في إحدى أيام السبت، أخذت تذكرة، كان رقمها ٥٥، حين سألت كم رقم التذكرة داخل الغرفة، قالوا بأنها كانت ٣١، صعقت حينها واحمرّ وجهي ولم أعرف ماذا أفعل، تذكرت أنني أحمل رقم ٢٠ في جيبي، وضعت يدي به وأنا أدعو ربي أن تكون موجودة. أخرجت من جيبي الكثير، محفظتي وشكلاطة، وصافرة، والعديد من الورق؛ بحثت عنها حتى وجدتها. فقلت للجالسين هذه نمرتي وأنا سأدخل الأن، لم يقل أحد شيئاً. ومنذ ذلك الحين أدخل إلى العيادة آخذ تذكرة وأخبئها في جيبي وأخرج الرقم القديم وأدخل بنفس الطريقة لا أفعل هذا دائما، فقط عندما يكون هناك الكثير من الناس.

نادية الرشق

رحلة ناتيجدا

كانا زوجين سعيدين جداً، كانت الفتيات تحسد ناتيجدا على مدى حب زوجها لها، فلم يعرفن رجلاً يتطلع الى زوجته بكل هذا الشغف والحب، لم يكن إيفان يكف عن التفكير في زوجته، مما جعل رجال القرية يتساءلون فيما بينهم عن السّر الذي جعله يعشقها كل هذا العشق.

كانت تجذب الناس حولها رجالاً ونســاءً، فالرجال يجتمعون حولها لجمالها، وينادونها بالفتاة الذهبية، لجمال شعرها الذهبي الطويل ونعومته والذي ينسدل فوق صدرها ويمتد حتى يتمايل مع خصرها، كما يتلاءم مع عيونها العســلية الرقيقة، التي يقتنع إيفان أنها لا ترى بها إلا الأشــياء الجميلة المليئة بالأمل والدفئ فقط. أما النســاء فهن يجتمعن عندها لأنها دائما ما تخلق حولها جوا من المرح والســعادة، لديها حسّ من الدعابة يجعلها كالفاكهة التي لا تســتطيع الجلوس في آخر نهارك لترتاح، إلّا وهي موجودة على الطاولة.

هذا ما قالته السيدة كريستين عنها، لطالما تمنت أن يكون لديها فتاة مثلها، وها هي الآن زوجة ابنهــا الوحيــد، لم تســتطع انجاب غيره بعد وفاة والــده الذي أصيب بعمــى لم يعرف الطبيبان الموجودان في القرية كيف يعالجانه، فلم يكن الطب متطوراً في تلك الأيام.

عند وفاته، حاول الســيد فرانسوازيا التودد للســيدة كريستين التي رفضته عندما عرض عليها الزواج، رغم ذلك، لقد ساعدها في تربية طفلها الوحيد وعلمه حتى أصبح أستاذا يعمل في المدرية نهارا، ومساءً يذهب ليساعد السيد فرانسوازيا في مقهاه. لقد أحب ايفان السيد فرانسوازيا كثيرا واعتــبره مثــل والده، كان يهــرع اليه مسرعا كلــما واجهته مشــكلة ما، وكذلك وفر له الســيد فرانسوازيا كل ما كان يرغب به. بداية كان ذلك من أجل التودد للسيدة كريستين لكن بعد ذلك تعلق بالولد وأحبه وعلمه وصرف عليه كأنه ابنه، رغم اعتراض السيدة كريستين على ذلك.

في ذلك اليوم عندما أنهى ايفان عمله في المقهى، ذهب ليســلم على عمه فرانســوازيا، فاقترح عليه أن يسافر هو وزوجته الى "فلسطين"، لزيارة كنيسة القيامة والمهد ليبارك الرب زواجهما؛ قال له ايفان بأنه سيخبر زوجته عن الأمر فان لم تمانع لن يكون هناك أي مشكلة، تحدثا قليلا ثم عاد كل منهما الى بيته. في اليوم التالي ســأله الســيد فرانســوازيا عن رأيهما بالسفر، فأخبره ايفان بأن زوجته أحبت الفكرة وبأنه سيباشر الاجراءات.

بعد أسـبوعين جهَّـز إيفان وناتيجدا حقائبهما للسـفر وودعـا عائلتيهما وأهـل القرية. كانا مسرورين جدا، حيث زارا معظم المدن الشمالية مثل الجليل وحيفا ويافا وغيرها، كما زارا البلدة القديمة في القدس وجابا أسـواقها وزارا الكنائس المختلفة بعد زيارة كنيسـة القيامة والمهد، مثل كنيسة الجثمانية وكنيسة مريم العذراء. مكثا لأسبوعين تقريبا، وبما أن ناتيجدا تمتاز بحسّ الدعابة فقد تعرفت على بعض الصديقات المتزوجات اللواتي دعونها لحضور حفلة عيد ميلاد ابن واحدة منهن، فذهبت هي وزوجها، وتعرف إيفان على الأشخاص الموجودين وكان منهم من يعمل أستاذا مثلـه ولكنه يأخذ راتبا أكبر منه بالمقارنة مع ظروف المعيشـة الموجودة. وعندما عاد الى الفندق اقترح على زوجته البقاء في فلسطين والسبب هو أنه وجد مكاناً يعمل فيه بهذه البلاد أفضل من قريته الفقيرة في روسـيا. وبـدأ باجراءات الإقامة في البلاد من أجل العمـل وبالطبع كان ذلك في مدارس اليهود.

بعثا إلى أهلهما رسـائل تخبرهم بأنهما يريدان العيش في فلسـطين، وبأنهما سيبعثان لهم دائما برسـائل تخبرهم عـن أخبارهم وأحوالهم وكل ما هـو جديد عندهم. وبعثا مع الرسـائل هدايا وصورا، بعد شـهر تقريبا وصلت رسـالة للسيد إيفان قرأها ولكنَّه أبى أن يخبر ناتيجدا عن فحوى الرسـالة، وكان يطمئنها ويقول لها بأن مضمونها ليس به شيء سيء، مسـتنكرا لماذا تفكِّر بشـكلٍ سـلبي! لكنها لم تقتنع بما قاله لها، لأنه لو كان مضمون الرسـالة ليس سيئا ولا يدعو للقلق لكان جعلها تنظر اليها.

بعد يومين نسـيت ناتيجدا الموضوع، ونزلت تبحث عن بيت جيد لها ولزوجها للعيش فيه بما أنهما قررا الاقامة في "اسرائيل"، وعندما وجدت بيت أعجبها أخبرت زوجها عندما عاد الى الفندق، ونزلا ليتناولا الغداء في أحد المطاعم.

ناتيجدا: انظر إلى المكان إنّه جميل.

إيفـان: نعم، انه كذلك. والجو هنا معتدل والخضرة منتشرة. انظري الى عروق الأشـجار التي تغطي المكان من أشعة الشمس، انها من اجمل البلاد.

ناتيجدا: سنظل نخرج هكذا كل يوم حتى لو وجدنا بيتا ومكثنا فيه، أليس كذلك؟

إيفان: ناتيجدا... (بصوت فيه حزن) انظري إلي.

ناتيجدا: (تلتفت اليه ببطئ وهي تنظر الى المكان، والابتسامة تعلو وجهها) ماذا؟

إيفان: أريد الرجوع هناك ليومين أو ثلاثة فقط لأرى أمي، فهي هناك وحدها، ليس لها غيري، أما أنتِ، اهلك يمكنهم الاعتناء ببعضهم البعض... فلتؤجلي موضوع البيت قليلا ريثما أعود.

ناتيجدا: هل تريد العودة من أجل الرسالة التي وصلتك منذ يومين؟ أخبرني ما فيها الان.

ايفان: لا تغضبي، سـأقول لك كل شيء عندما أعود، سـأدفع للفندق أجار الغرفة وسـأعطيكِ بعـض المال، واطلبي من احدى صديقاتك المكوث عندهـا ريثما أعود، لن أبقى طويلا، يومين أو ثلاثة فقط وسأعود وأخبرك بكل شيء. لم الغضب وهذا الحزن؟

ناتيجدا: لِم لا نذهب معا ونعود معا؟

ايفـان: لا، ليس هناك معـي ما يكفي من المال، فلتبقي أنتِ هنا، وجِـدي لنا منزلاً جيداً كما وعدتني، اسمعي الكلام أيتها الطفلة!

غـادر ايفان ومكثت ناتيجـدا عند واحدة من صديقاتها كما قال لها، ووعدتها بالمغادرة قريبا، فهي لن يطول مكوثها أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام كما قال لها زوجها؛ لكن مضى أسبوع وزوجها لم يرجع وبدأ زوج صديقتها يصرخ، وقد فهمت بأن بقاءها في هذا البيت غير مرغوب فيه.

لذا وضبت أغراضها وسـألت صديقاتها الأخريات عن امكانية مكوثها عند واحدة منهم ريثما يعـود زوجهـا، لكنهم اعتذروا عن عدم قدرتهم على اسـتقبالها، فذهبـت الى الدير القريب من الفنـدق الـذي نزلت فيه هي وزوجها، وبدأت بالبكاء إلى أن جـاءت راهبة، قالت لها بأنها تريد الاعتراف، وقالت للراهبة كل شيء، فأخبرتها الراهبة بأنها ستسـاعدها وسـتجعلها تمكث معها في بيتها ريثما يعود زوجها؛ لم يكن أمامها خيار آخر سوى القبول والذهاب معها.

مـع مرور الأيام بدأ يظهر الانتفاخ على بطنها، كانت قـد علمت أنها تحمل داخلها طفلا من زوجهـا بعد أن غادر بيومين فقط لا أكثر، لقد بعثت برسـائل عديدة تسـأل فيها عن زوجها الى المكان الذي تسـكن فيه امه وأهلها، لكن لم تسـتقبل منهم أي رسـائل، لم تكـن تعلم ان كانت رسائلها تصل اليهم أم لا.

بدأتْ ناتيجدا تبحث عن عمل، لكنها لم تكن تحمل معها أي شـهادات لتسـاعدها على ايجاد مكان يقبل أن تعمل به سـوى آذنة في مدرسـة، أو نادلة في مطعم لغسـل الصحون، أو أعمال شبيهة بها.

لقـد انتظرت أن يعود زوجها، حتى وضعت مولودهـا الأول، لم يكن معها مال يكفي لتعيش هي وابنها سـوياً، خططت هي والراهبة التي ساعدتها في السكن في بيتها والتي أصبحت صديقة عزيـزة لديها، حيث كانت ناتيجـدا تجلس في غرفتها الصغيرة على سريرهـا الحديدي، تنظر الى الشـمعة التي أوقدتها بعد أن أطفأت أضواء معظم البيـت بحزن، ثم دخلت الراهبة الى الغرفة وحملـت الطفل عـن السرير الذي يكاد ينفجر مـن البكاء. قالت الراهبـة: ناتيجدا! انظري الى طفلك، ما بك؟ هل جننتي؟

ناتيجدا: عاجلا أم آجلاً سيموت، إما جوعاً، أو قهراً !

الراهبـة: حسـناً، لقد كنـت أفكِّر من يومين، وتوصلـت الى هذه الفكـرة، ولا أعلم ان كانت ستعجبك.

ناتيجدا: ما هي؟

الراهبة: سآخذ نيقولاي معي غداً الى الدير، وسأقول أني وجدته في الطريق.

تقاطـع ناتيجدا كلامها بغضب وتصرخ: هل جننتي! هذا طفلي، أنا لا أضعه في الطريق وكيف سأراه؟

الراهبة: اسمعيني، سآخذه معي، ثم ستأتين أنت وتعملين مثلي كراهبة في نفس الدير وهكذا ستربين طفلك وتبقون معا في الدير، وستجدون ما يمكننا العيش به هناك.

لم يكن أمامها سـوى أن تصبح راهبة كما قالت لها صديقتها وتهب نفسها للدير، أعطت ابنها للراهبـة. لم تكن تريد أن تكون راهبة، لكـن وضعها أجبرها على ذلك، لتبقى بالقرب من طفلها، وتطمئن عليه؛ ما كان يؤلمها هو عدم قدرتها عى سـماع ابنها يقول لها أمي أمام الناس، كان ذلك يزيد من حسرتها يوما بعد يوم.

أصبح ابنها في الخامسة من عمره، صار يسأل عن والده والى أين ذهب، ولم يستطع أن يناديها بأمـي، صار يحتاج الى الأصدقاء، صار يحتـاج الى ملابس جديدة، كبر الفتى ولم يأت والده، كانت تفكر في هذا كل يوم.

ولأنّهـا لم تكـن ترغب أن تكون راهبة منذ البداية، قررت الرحيل من الدير وبدأت تبحث عن مـكان لتسـكن فيه ووجدت مجموعة من الأشـخاص المهتمين بتعلم اللغة الروسـية، جمعتهم، وبـدأت بتعليمهم مقابل بعض من المال. وجدت شـقة صغيرة في قرية ليسـت ببعيدة جدا عن القريـة التـي تمكث بها، أبقت ابنهـا في الدير، لأنها اعتقدت أن بقـاءه في الدير أفضل له، حيث سيوفر له احتياجات قد تعجز عن توفيرها له.

انتقلـت إلى شـقتها الجديدة الصغيرة جداً، بمجرد أن تدخل البـاب، وتمشي خطوات قليلة إلى الأمـام، ترى سريرها والخزانة الصغيرة في الحانب الأيمن من الغرفة، وفي وسـطها طاولة خشـبية هشّة قديمة الطراز، حولها مجموعة من الكراسي المصنوعة من القش؛ لو أزحت نظرك إلى الجانب الأيسر من الشقة لوجدت مطبخ بخزائن سفلية فقط وباب يفضي الى حمامٍ ضيّق. بدأت ناتيجدا بتنظيف شقتها الجديدة، ورتبت ملابسها ووضعت الشراشف والوسائد على سريرها؛ اشترت بعضا من المواد الغذائية والحبوب والبقول التي تدوم طويلا، غطَّت الطاولة الهشـة بشرشـف حريري أهدتـه اياه أمها قبل أن تسـافر مع زوجهـا الذي اختفى أثره، ووضعت إكليـلاً من الورد فوقه، علَّقت السـتائر على الشبابيك التي تدخل منها الشمس إلى الداخل لتجعل فيها بعضاً من الحياة والأمل.

نسيت شوقها لزوجها، آثرت البدء بحياة جديدة، استرجعت فكاهتها، تعرفت على أناسٍ جدد، تذهب بين الحين والآخر لتتفقد ابنها، أو يزورها هو بدوره أحيانا.

لم تجمع الفتيات والشـباب الذين كانت تعلمهم الروسـية في يوم ما في بيتها أبدا، في كل مرة كانت تجمعهم عند بيت أحد منهم، بشرط أن لا تتكرر زيارة الشخص في بيته حتى يتم زيارة كل الأشخاص الموجودين، وذلك لأن شقتها صغيرة، وقد زادت هذه الزيارات من ارتباطهم ببعض شيئاً فشـيئاً، وأصبحـوا أصدقاء تربطهم علاقة عجيبة، رغم أنهـم لم يكونوا يعرفون بعضهم قبل هذه الـدروس، لـذا أخبرتهم ناتيجدا بقصتها منذ البداية، وكيف أنها نسـيت الأمـر، وتريد بدء حياة جديدة، وأن كل ما تبقى لها في هذه الحياة من ماضيها هو ابنها الوحيد، الذي لا تستطيع سماعه يناديها بكلمة أمي رغم أنه أبسط شيء يمكن أن ترغب في سماعه أم من ابنها، إنه بجوارها دائما، لكن لا تستطيع أن تعامله كإبنها وتحضنه وتنام بجواره وتسهر معه، أو تذهب معه في رحلة، أو إلى السوق مثلها كمثل أي أم.

مـن بين من كانت تعلمهم ناتيجدا، فتاة تدعى أمـيرة، وقد رتبت فيما بينهم للالتقاء عندها. هـذه الفتاة عائلتها كانت العائلة المفضلة عند جميع أهالي القرية، كان وضعها المالي هو الأفضل من بين جميع العائلات الموجودة؛ كان لها فضل عليهم جميعا، كل ما كانوا يحتاجونه تساعدهم فيه هذه العائلة دون مقابل ودون أن يشـعر الجميع بأن هذه العائلة تقدم المسـاعدة، تسعى للمصالحة في المشاكل، وفي الأفراح لنشر السرور والسعادة، وفي العزاء للإعانة على المصائب؛ عائلة تتكون من سبعة شباب وست فتيات لأم وحيدة وأب وحيد.

كانــت أميرة هي الفتاة الأصغر مــن أخواتها، تجلس هي وأختاها وفاء وزينب، اللواتي لا يزلن عازبات مع أمهن وأبيهن؛ ســافرت أختها الكبرى فاتن لتعلم الطب، وتعرفت على رجل وتزوجها هناك أما ابتهال وزينب، فتزوجتا من أخوين شابين يعيشان في القرية المجاورة.

جهّــزت أميرة البيت وحضَّرت الضيافة، اســتضافت هي وأمها وأختاهــا وفاء وزينب، ناتيجدا والأصدقاء الآخرين، بُهروا جميعا عند دخولهم البيت، إنه كبير جداً وواســع؛ في الطابق الســفلي ساحة واسعة تزينها أشجار التفاح والبرتقال والإجاص، تتخللها أشجار الزهور من نرجس وياسمين وشــجر الريحان التي تملأ رائحته المكان، وفي وســطها نافورة كبيرة جميلة تجذب الانتباه، ليشكل صوت خرير المياه موســيقى تتغلغل الى داخل الأذن دون ارادة منك مع رائحة الأشــجار الخضراء الملونــة بالأزهار والثمار. ما إن تعبر هذه الســاحة تجد أمامك باباً حديدياً مزخرفاً بالرســومات الجميلة، باب كبير وضخم حوله حجر منحوت يشكل حوض الشجرة التي تعلو فوق الباب وتنزل الى الناحية المقابلة للحوض لتصل إلى الأرض. تعبر الباب فتجد صالة كبيرة جداً وواسعة للضيوف، وخزانــة من الزجاج بداخلها كؤوس وفناجــين وأباريق من ذهب وفضة موضوعة في إحدى زوايا الصالــة، إن أكملــت طريقك الى داخل البيت تجد ثلاثة مداخــل، الأول يمضي الى حمام الضيوف والمطبخ، والمدخل الثاني يمضي الى ساحة صغيرة يوجد بها بعض التحف والكراسي الفخمة المريحة بجانب الدرج الممضي إلى الطابق الثاني، أما الطابق الثالث فيؤدي الى غرفة الســفرة الواســعة؛ في الزوايا تماثيل لأشخاص بملامح مختلفة، هذا إضافة الى البراويز والثريات الجميلة المعلقة بالسقف في كل غرفة، طاولة الســفرة طويلة جداً حولها خمســة عشر مقعداً، على عدد أفراد العائلة. أما الطابــق العلــوي فيتكون من ثلاثة حمامات وســتة غرف للنوم يوجد بــكل واحدة منها سريران كبيران يتسعان لشخصين، تغطيها شراشف ووسادات زاهية الألوان، وخزائن على طول كل حائط في كل غرفــة من الأرض حتى أســفل الســقف بقليل، مليئة بالملابس والشراشــف والوســادات الاضافية؛ في وسط هذا الطابق كنبات جميلة عديدة للعائلة فقط. تقع غرفة الأم والأب في نهاية هــذا الطابــق ويوجد منها مخــرج إلى الشرفة المزينــة بالأحواض العديدة، تنظــر من خلالها الى الســاحة الســفلية والجبال البعيدة المليئة بأشجار الزيتون، كما يوجد في هذه الشرفة درج يؤدي الى الساحة الخارجية في الطابق السفلي.

دخل الجميع إلى البيت وعلامات الدهشــة تبدو على وجوههم، قرروا الدراســة في الســاحة الخارجية من الطابق الســفلي عند النافورة. أثناء الدراسة، جاء شاب دخل الى البيت بعجرفة، ثم رجع الى الساحة وذهب يصرخ وينادي على أخته بغضب، ذهبت لتراه، بدا من بعيد كأنه يكلمها بعنــف، والجميع ينظر، ذهبت ناتيجدا لترى ماذا يحصل، واتضح أن كل هذه العصبية كانت من أجل قميص غير مغســول! ســخرت ناتيجدا منه، مما زاد من غضبه، وقال لها علاء الزمي حدودك واعلمي مع من تتكلمين، فأنا ابن من له فضل على كل أهل هذه القرية، ومن أنتِ أصلا؟

ناتيجدا: ليس لأهلك أي فضل عليّ أو على أهلي، أنا أكون معلمتها، ومن حضرتك؟

علاء: أنا أخوها، ألا ترين ذلك؟

ناتيجدا: اه، نعم، هذا واضح، واضح جدا... شكرا على ذوقك الرفيع.

لم يعلم علاء كيف يكلمها، فهو لم يتشاجر مع فتاة من قبل غير أخواته. أراد أن يناديها ليتفاهم

معها، لكنه لم يعلم اسمها، فقال علاء: أيتها الفتاة... أنت... يا فتاة

أميرة: اسمها ناتيجدا.

علاء: ماذا! نا... ناتاشدا؟؟

أميرة: نا...تي... جدا (تتهجئ الأحرف)

علاء: (ينادي بصوت عال) ناتيجدا.

نظر الجميع اليه وكانت ناتيجدا في طريقها للجلوس مع البقية، وظهرها في وجهه، توقفت عند سماع اسمها، أدارت وجهها لترى ماذا يريد أن يقول، والجميع ينظر. عبر نسيم هادئ ومنعش، تلاعب بشعرها الطويل، بان وجهها أكثر، ولمعت عيونها العسلية متسائلة ماذا يريد أن يقول لها؟ لكن جمال شعرها الذهبي وعيونها العسلية سحرا عينيه عند رؤية هذه الفتاة الجميلة في وسط هذا الخضرة، ونسيم الرياح، وخرير المياه، ورحيق الورد، لم يعرف ماذا يقول! لقد نسي لماذا ناداها! أدار ظهره ودخل الى البيت وأقفل الباب وقد استغرب منه الجميع.

بعض الأشخاص: ما به؟ هل يوجد شيء؟! ماذا قالت له عندما ذهبت تحدثهما؟ لم هو غاضب؟ لماذا لم يقل شيء عندما ناداها؟

ناتيجدا: فلنعد للدرس.

أكملت ناتيجدا الدرس وعند النتهاء وضب الجميع مستلزماتهم، وهموا بالذهاب الى البيت، وفي العادة ترحل ناتيجدا بعد أن يغادر الجميع، لأنَّها مسؤولة عنهم بما أنها معلمتهم. عندما ذهب الجميع وأرادت الرحيل، ذهبت لتسلم على أميرة، كان علاء ينظر اليها من شرفة الطابق الثاني، عندما أدارت ظهرها لترحل قال لها علاء: انتظري!

اعتقدت أنه يكلم أخته فأكملت طريقها.

علاء: ناتاجدا.

أميرة: ناتيجدا.

علاء: حسنا انتظري.

ناتيجدا: هل تريد شيء أم ستنظر الي فقط؟ ماذا؟

علاء: أردت أن أسألك..

ناتيجدا: تفضل..

علاء: ناتيجدا! ما هذا الأسم؟

ناتيجدا: أنت أناني!

علاء: ماذا؟ ههه لماذا؟

ناتيجدا: أنا لا أعرف اسمك، ومن أعطاك الحق بمعرفة اسمي؟

علاء: انه ليس بالشيء الذي يجعلني أنانيا أيتها السيدة، اسمي علاء (يمد يده للمصافحة).

ناتيجدا: علاء! ما هذا الاسم؟

تقول ذلك بنفس أسلوبه ثم تغادر، وعلاء ينظر اليها تبتعد. ظل يفكر بها الى صباح اليوم التالي، وبدا عليه النعاس بسبب عدم قدرته على النوم. عند الظهيرة عاد الى البيت، وسأل أخته عنها، من هي؟ لم اسمها غريب؟ من أين هي؟ أين أهلها؟ وغيرها من الأسئلة. أجابته على قدر الأسئلة فلم

تعطه أي معلومات زيادة غير التي سأل عنها. بعد ذلك ذهبت أميرة الى الدرس عند أحد الأصدقاء الاخرين، وعندما رأت ناتيجدا أميرة، بدأت تسألها هي الأخرى أسئلة عن علاء.

قالت أميرة: ما بكما؟ أنتما الاثنان، تسألان عن بعضكما من الصباح!

ناتيجدا: ماذا؟ سأل عني؟ لماذا؟

أميرة: ولماذا تسألين أنت أيضا؟

سكتت ناتيجدا ولم تعرف أميرة ماذا يعني هذا الصمت.

أميرة: كما تعلمين عندي سبعة اخوة، عمر ومحمد سافرا للدراسة في الخارج مثل فاتن، عُمر، الأكبر تزوج واستقر من فتاة أصلها فلسطيني لكنها تعيش معه في كندا، أما محمد ما يزال أعزبا ويدرس في مصر العلوم الشرعية؛ لدي أيضا شقيقاي الصغيرين جمال وزكريا، إنهما شقيان جدا ويحبان اللعب كثيرا. بقي حسام ورفعت وعلاء، هؤلاء الشبان الثلاثة يعملون مع والدي في المخبز، أحب إبنة حسام كثيرا، كم هي جميلة بعيونها السوداء الواسعة، وبشرتها السمراء الناعمة؛ علاء هو الشاب الأكثر طيشاً من بينهم، يغضب بسرعة، لكن عند المزاح ، أنا أكيدة أنك ستدمعين وسيؤلمك بطنك من الضحك.

ناتيجدا: حقا! وأين كان هذا الجانب الفكاهي؟

تبدأ ناتيجدا في العمل وتنهي حديثها مع أميرة.

تشتاق ناتيجدا الى ابنها وتفتقده، فتقرر الذهاب اليه لتراه، فتستقل الحافلة للذهاب، وتجلس في أحد المقاعد، وحين وصولها تطلب من السائق أن يتوقف، وعندما همَّت بالوقوف، إذ بشعرها مربوط بقطعة حديدية موجودة خلف الكرسي الذي كانت تجلس عليه، لذا لم تستطع الوقوف؛ أكملت الحافلة طريقها، نظرت الى الشاب الذي يجلس خلفها، واذا به علاء، سألته ان كان هو من ربط شعرها، ولم ينكر ذلك، لكن لم يعطها سببا لفعل ذلك، بل كان لمجرد أن يلفت نظرها، ساعدها على حلّه من جديد ونزلا من الحافلة، كانت ناتيجدا تسير باتجاه الدير، وعلاء يسير في نفس الطريق. صرخت به وقالت له ألا يلحق بها، وأن هذه الحركات من فعل شاب غير ناضج، لكنه أكد لها أنه لا يلحق بها وأن هذا هو طريق عمله؛ ظلت ناتيجدا تمشي حتى وصلت الى الدير، وهو لا يزال يمشي في نفس الطريق ويحمل أكياسا معه منذ بداية الطريق، قالت له بأنه سيتعب اذا ظلّ يلحق بها بهذه الأكياس الثقيلة، لكنه سخر منها وقال لها: ماذا ترين نفسك حتى ألاحقك؟ قلت لك أنني في عمل! دخلا الى الدير، سألت ناتيجدا الراهبة عن ابنها، أخبرتها أنها تريد أن تراه دون أن يراهما أحد في احدى غرف الاعتراف، سمعها علاء دون قصد منه أثناء بحثه عن أحد ليعطيه أكياس الخبز التي كان يحملها للعاملين في الدير، فقرر أن يعطيه لنفس الراهبة التي تتحدث مع ناتيجدا.

ذهبت ناتيجدا لرؤية ابنها، وظل علاء ينتظرها حتى أرادت الرحيل، وعندما رأته قالت ناتيجدا ساخرة: وهل تنتظر أيضا لأجل العمل؟

علاء: لا، ولكن سمعت شيئا أريد أن أتحدث معك به.

ناتيجدا: ما هو؟

علاء: لم تريدين رؤية ابنك سرا؟

بعد جدال تخبره ناتيجدا بكل شيء.

كان لـــدى ناتيجدا مهـــارة في الغناء، ســـمعت في المذياع عن تجارب للأداء ســـتقام في الأردن، وفكرت بالأمر ولم تجد الفكرة سيئة. كانت قد أخذت برأي ابنها نيقولاي عن الأمر، ولم يمانع هو الآخر وقررت السفر.

حزمت أغراضها وسافرت بعد أربعة أو خمسة أيام؛ افتقدها علاء، سأل عنها ولكنه لم يجد عنها أي خـــبر، فلم يجد ســـوى ابنها، ذهـــب الى الدير وخطفه، أبقاه عنـــده الى أن علم منه أن والدته سافرت من أجل الغناء.

جهَّز علاء نفســـه وسافر الى حيث تكون، كانت ناتيجدا قد تقدمت الى تجارب الأداء ونجحت فيها، وتم تبنيها غنائيا من قبل أحد لجنة الحكام، وأراد أن يتكلم معها، لذا ظلت تنتظر في صالة المـــكان. قام علاء حين وصل إلى الأردن بالذهاب الى عمان، مكان عمل تجارب الأداء، وبدأ يصرخ أيـــن ناتيجدا أريد أن أراها! قال له البواب بأنه الدخـــول ممنوع إلّا لوليّ الأمر والزوج فقط. قال علاء أنه زوجها، فســـمح له بالدخول. عندما دخل أمســـك بيدها وقال: زوجتي لا ولن تغني أمام الناس! تشاجرت ناتيجدا معه على هذا الادعاء، قالت لها لجنة التحكيم أن تحل مشاكلها العائلية ثم تأتي للغناء، وأخذها علاء وأعادها إلى فلسطين وهي غاضبة منه جدا.

أخذهـــا معه الى بيته وأخبر أمه أنه يريد الزواج منها، لكن أمه بدأت تصرخ أمامها وتقول أنها مســـيحية، وهي لن تقبل بذلك. تشـــاجرا معاً ثم أخذ علاء ناتيجدا وقال لها أنها يجب أن تسلم، بدأ يعرفها على الإسلام، وهي بدأت تتعلم الإسلام شيئا فشيئا، وأحبته. صارت تسأل عما يواجهها من أمور ومســـائل دينية، حتى نطقت بالشـــهادتين وسجلت إسلامها في محكمة في يافا. تحجبت اســـتجابة لرغبة علاء الذي تزوجها وأســـكنها في نفس بيت والديه معه في غرفته، ما جعل ناتيجدا تعـــاني من مضايقات أمه لها في بداية مكوثهما معا، ولكن سرعان ما اســـتطاعت ناتيجدا بذكائها، وخفـــة دمها أن تصل الى قلب أمه؛ أصبحت تعلمها الوضوء والصلاة وتحفظها القرآن، كما علمتها المأكـــولات العربيـــة خاصة التي يحبها علاء كالمحاشي والمنســـف. قامت ناتيجـــدا بدورها بتعليم حماتها الجديدة بعضا من المأكولات التي كانت تطبخها في قريتها مع أم زوجها السابق.

كانـــت ناتيجدا تهيء إبنها لموضوع الـــزواج، لكنها عندما أخبرته بالزواج غضب منها جدا وبدأ يصرخ، إلا أن غضبه بلغ ذروته عندما ســـمع والدته تنطق حروف كلمة إســـلام، كان ذلك عندما دخلت ناتيجدا الى مكتبته الضخمة التي جمعها خلال معيشته داخل الدير، قالت ناتيجدا باحثة عن ابنها: نيقولاي... نيقولاي... أين أنت في وســـط هذه المكتبة الكبيرة... الى متى ســـتظل تشتري وتقرأ كتباً؟

نيقولاي: أنا هنا... استديري حول نفسك قليلا واعبري من الممر الضيق، لا تلمسي أي شيء لأنك اذا حاولتي ازالة أي كتاب من عندك ستتســـاقط الكتب من فوقك كالمطر وتتجمع حولك كجبل مليء بالأشجار الملونة.

ناتيجدا: لم لا تأت أنت؟ سيكون هذا أفضل.

نيقولاي: حســـنا... انتظري، لكن بما أنك أتيت بي فهـــذا يعني أنك تريدين قول شيء، ترى هل هو خبر جيد ؟

ناتيجدا: حسنا... ااام.... إنه...

نيقولاي: يبدو أنه خبر سيجعل روحي تطير من السعادة (يتحدث باستهزاء)

ناتيجدا: ماذا سيقول رأيك لو تزوجت؟

نيقولاي: لن أوافق... فليس هناك من يستحق ظفر أمي.

ناتيجدا: كفاك مزاحا، أنا أتكلم بجدية يا ولد. لقد عرض علي رجل الزواج و...

نيقولاي: أنتي لم توافقي صحيح؟

ناتيجدا: بلى لقد وافقت وتزوجنا منذ ثلاثة أسابيع تقريبا و...

(يقاطع نيقولاي حديثها بغضب): ماذا؟ ما الذي تقولينه؟ وماذا عن انتظار والدي؟ ثم انني لم أر هذا الرجل. صحيح لا يعلم الناس بأنني إبنك ولكن هذا لا ينفي مقدرتك على أن تريني اياه!

(قاطعتــه ناتيجدا): لن أنتظر والدك أكثر من هذا الوقت، لقد انتظرته طوال الســنين الثمانية عشر الماضية، ثم... ثم إنك تعرف هذا الرجل.

نيقولاي: أعرفه! ومن هو؟

ناتيجدا: انه الرجل الذي خطفك ليعلم مكاني حينما سافرت.

نيقــولاي: هــه! ماذا! تتزوجين من رجل يعلم كيفية خطف النــاس؟ ألم تجدي أفضل منه؟ ثم أنني سمعته يقرأ كتابا غير التوراة!

ناتيجدا: إنه كتاب القرآن الكريم.

نيقولاي: تزوجت من رجل مسلم؟! أنت جننتِ بالتأكيد!

عند سماع ناتيجدا ابنها يكلمها بهذا الشكل لأول مرة، ارتفعت يدها بشكل لا ارادي وصفعت وجه ابنها للمرة الأولى في حياتها، كان صوت هذه الصفعة عاليا. عم الهدوء المكان لبضع لحظات، كانت أعينهما تنظران الى بعضهما البعض، ليحاول كلا منهما أن يفهم ما يجول في بال الآخر ويفهم مشاعره، لكنهما لم يتمكنا من ذلك.

نيقولاي: أنا أعتذر عن استقبالك في مكتبي، رجاء اخرجي أيتها السيدة.

ناتيجدا: هل تعاملني كالغرباء!

نيقولاي: وهل أنت لســت غريبة بنظر الجميع هنا؟ بقاؤك معي هنا لفترة أطول ســيجلب لي كلام الناس لذا رجاء غادري ولا تسببي لي المتاعب.

خرجت ناتيجدا ودموعها تملأ وجهها، وصلت المنزل وهي على وشك الانهيار، لأنها علمت أنها خسرت ابنها الوحيد. حدَّثت زوجها وحماتها بما دار بينها وبين ابنها من حديث، ظلت تبكي حتى غفت على صدر زوجها.

ظلت شاردة الذهن حتى جاء علاء بعد أسبوع ليخبرها أن تجهز نفسها لأنهم سيذهبون لرؤية نيقــولاي؛ ذهبت هي وعــلاء لرؤيته لكن لم يكن هناك فرصة حتى للنقاش، فمنذ وصول ناتيجدا وعــلاء الى الدير، دخلت ناتيجدا الى غرفة نيقــولاي والى مكتبه بحثا عنه لكنها لم تجده، فذهبت لتسأل الراهبة عن مكانه لعلها تعلم عنه أي شيء.

استغربت الراهبة من سؤال ناتيجدا عن ابنها وتعجبت ناتيجدا أيضا من ردة فعل الراهبة.

الراهبة: ألم يقل لك أين ذهب حقا؟

ناتيجدا: والى أين ذهب؟

الراهبــة: في اخر مرة جئت هنا، كان نيقولاي عصبي المزاج جدا حينما غادرت أنت. وفي اليوم الثاني وضب ملابسه وأغراضه وبعضا من كتبه وقال أنه سيسافر الى روسيا بحثا عن أبيه. أحقا لا تعلمين ذلك؟ لِم لَم يقل لك؟ ثم من هذا الرجل الذي يمسك بيدك؟

صدمت ناتيجدا عند سماعها ذلك الخبر وأخبرت علاء الذي كان لا يزال ينتظر في غرفة نيقولاي، ولكن الذي أثار فضول علاء وجعله مســتغرباً هي ردة فعل ناتيجدا فمنذ ســماعها الخبر لم تنزل من عيونها أي دمعة وتعامل الجميع بلطف ومرح وكأن ابنها لم يفارقها!

يتبع...

نادية الرشق

أمير جابر

العمر: ١٦ عاماً

(شعفاط- القدس)

طريق البحث
في بريد القدس

طريق البحث

أنا إنسان، أُفكِّر، لا أقتنع بسهولة، أرى عقلي عبقرياً، أمتلك من العمر ١٦ عاماً ومع ذلك أرى أنني أفضل بكثير من الكبار، أشياء اقتنع بها جميع الناس دون أن يفكروا بها، لم تقنعني.

منذ زمن بعيد والشكّ يدور بعقلي والتفكير يغوص بعيداً ...

وأنا أحبس الشكّ ولا أريد التفكير فيه، وما زالت هذه الأشياء التي تقنع الناس تزداد ولا تقنعني !

في يومٍ قررت البحث لأصل إلى الحقيقة، وفي طريق البحث، اشدت بي الحيرة والإحساس بغصة لاكتشافي أن الأمور التي مرّت عليَّ ليست حقيقة بل وهماً. ولكنّي في نفس الوقت غير متأكد، فأواصل المشي في طريق البحث؛ أشتم رائحة الخداع من الوراء، وأسمع صوت الحقيقة في الأمام، أتجه مسرعاً لا أجد حتى طرف خيطٍ بارزٍ بعض الشيء، أرى خيوطاً معقدة، يصعب عليَّ فكها والإمساك بأحد أطرافها، صار جزء كبير من عقلي مع ما أرى أنه الحقيقة، وبعض منه مع ما لم أتأكّد بعد من أنه خداع.

لا أدري ماذا أفعل فالطريق صعبة والحقيقة مُرّة، لكنَّها أفضل بكثير من وهمٍ جميل.

أمير جابر

في بريد القدس

في بريد القدس، حيث يجتمع الناس لقضاء العديد من المصالح، أو دفع الضرائب المفروضة عليهم بين جدرانٍ مكونة من صناديق للبريد، الكل ينتظر نداء الجهاز لرقمه ليقضي مصلحته ويذهب إلى البيت في هذا الطقس الغريب؛ بردٌ قارصٌ يكاد يفتت العظام، مطر وبَرَد غزيران يكادان يثقبان أسقف البيوت وطبلات الأذنين، أضواء البرق تعلن انتصاراً وصوت الرعد مثل الانفجارات، الجميع يشعر أنَّه في معركة، لكننا لسنا في نصف الشتاء، في شهر كانون الأول مثلاً، نحن في فصل الربيع، في شهر نيسان، غريبة أليس كذلك؟ صار البريد برأيي أشبه بملجأ من شدة البرد.

هناك داخل البريد يجلس فتى صغير عمره اثنا عشر عاماً تقريباً، الخوف يبدو واضحاً على ملامحه، يجلس لوحده ويرتجف من البرد، كأنّه دخل إلى البريد فقط ليحتمي من البرد، والطريق إلى بيته طويلة. وعجوزٌ ها هنا تبدو وكأنها أصيبت بجلطة، وقد بدى أنها فاقدة لوعيها من شدة البرد؛ كل الناس في شبهِ إغماءٍ من البرد، هزّة أرضية مفاجئة، شعر الجميع بها، ثم هزّات أرضية متتالية، ثم زلزال كبير أصاب كل من في البريد بالهلع ودمر البريد.

بدأ الجميع يركضون نحو باب البريد، إلّا أنه أُغلق من شدة الزلزال والعواصف، بدأ كلٌ منهم يتخذ مكاناً ليختبئ به فلا خَيار لديهم؛ سرعان ما توقف الزلزال وهدأت العواصف فهرع كل الناس الى الباب وحاولوا فتحه ففتحوه، وأسرعوا إلى بيوتهم لتفقد أبنائهم وللاحتماء من البرد أو من زلزالٍ آخر. لكنَّهم تركوا خلفهم عجوزاً قد نزلت بساحتها المنايا وفارقت الحياة، وفتىً ضائعاً عن أهلهِ ظلّ محتمياً من البرد داخل البريد حزناً على ما حدث للعجوز، جالساً على رأسها ينتظر قدوم أهله.

أمير جابر

تم إصدار هذا الكتيب ضمن مشروع شباب القدس يصنعون صورتها "شبابنا قدها" الذي يعمل على تطوير قدرات الطلاب المقدسيين ويهدف إلى صنع حراك ثقافي واجتماعي في القدس. ينفذ المشروع من قبل مؤسسة الرؤيا الشبابية بالشراكة مع مؤسسة النيزك للتعليم المساند والإبداع العلمي، مؤسسة التعليم من أجل التوظيف، مسرح الرواة وبتمويل من الاتحاد الأوروبي.

* الآراء الواردة في هذا الكتاب، لا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر الاتحاد الأوروبي.

بتمويل من

الاتحاد الأوروبي

تنفيذ

الرؤيا الشبابية
YOUTH VISION